

عوامل الإبداع المعماري في المدن السعودية الحديثة (الأحياء السكنية في مدينة الجبيل الصناعية كحالة دراسية)

م/ علي عثمان الناجم
عضو الهيئة السعودية للمهندسين

البريد الإلكتروني: aliuth5@yahoo.com

مقدمة

يعزف كثير من المهتمين بالعمارة عن دراسة العمارة المعاصرة دراسة إيجابية أي بنظره متمحصة إلى الإيجابيات والسلبيات أو بصيغة أخرى توجيه نقد إيجابي للبيئة المشيدة المعاصرة الجيدة



وخاصة في وطننا العربي ، إلا البعض من الأفراد والجهات ولاشك، والإكتفاء بالبيكاء على الأطلال وكأنها شرع لا يتغير . وهذا يهضم حق كثير ، من إنجازاتهم المعمارية والفكرية والإدارية. وليس هذا فحسب بل ويباعد الهوة بين الموروث والمعاصرة بل ويحد من الإبداع المعماري نظراً لتقليص نقد التجارب (وهنا الحديثة ولاشك). وبين أيدينا أحد المشاريع

المعمارية الحديثة التي احتوت على عناصر تصميمية وتخطيطية مناسبة للموقع الذي بنيت فيه

جعلها أهلاً لهذه الدراسة. هذا المشروع هو أحياء مدينة الجبيل الصناعية ، السكنية الدائمة. والدراسة تسلط الضوء على نواحي الإبداع في هذا المشروع ولهذا حملت الدراسة عنوان "الأحياء السكنية في مدينة الجبيل الصناعية ، محاولة للإبداع المعماري (الفناتير كحالة دراسية)" وإذا أردنا تكوين صورة عامة لهذه المدينة الحديثة ونشوتها ومستقبلها فنأخذ " وقفة تاريخية فعندما نتأمل الماضي، تبدو لنا قصة (سابك) الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك)، عامرة بالطموحات والتحديات، فهي تتمثل في مزج الموارد بالتقنية. وكان بناء صناعات عالمية في دولة نامية مثل المملكة العربية السعودية أمراً في غاية الإثارة. ظلت الغازات المصاحبة للنفط الخام، على مدى عشرات السنين، تحرق عند مداخل الآبار في المملكة. وبحلول السبعينيات، توجه الفكر الثاقب إلى استثمار هذه الغازات عن طريق إنشاء شبكة الغاز الرئيسية لاستخدامها وقوداً ومواد خام لإنتاج سلع صناعية ذات قيمة مضافة عالية. ولقد تم تنفيذ ذلك من خلال إنشاء سلسلة من الصناعات الأساسية الكبيرة بالقرب من هذه الموارد. يتجه أغلب هذه الصناعات للتصدير، بعد تلبية المتطلبات المحلية، وتهيئة مقومات النمو أمام الصناعات التحويلية. في سبتمبر ١٩٧٦م، صدر المرسوم الملكي بتأسيس الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك). وشهدت أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات جهوداً خارقة حولت (الجبيل) (وينبع) من منطقتين غير أهلتين بالسكان الذين كانوا يعيشون على صيد البحر، إلى مركزين من أكبر المراكز الصناعية العالمية يوفران أرقى تجهيزات البنية الأساسية أمام (سابك) وغيرها من الفعاليات الاقتصادية^[1]. فكانت مشاريع سابك الأولى وهي الجبيل (١) الصناعية والآن نعيش مرحلة الجبيل (٢) .. ولقد أدى نجاح المنطقة الصناعية (الجبيل ١) إلى الحاجة للتوسع في منطقة الصناعات

¹موقع شركة سابك http://www.sabic.com/sabic-www/Arabic/index_History.htm

لمواكبة المتطلبات المستقبلية للمستثمرين وتمثل المنطقة الجديدة الجبيل (٢) تطبيقاً لسياسات التنمية الوطنية، حيث سيتم إنجاز ذلك (بإذن الله) على أساس التطوير المرحلي في موقع تبلغ مساحته ٥٥٠٠ هكتار.^[٢]

وأحياء مدينة الجبيل الصناعية السكنية ، في المدينة الصناعية تعتبر من أهم المدن التي تم إنشاؤها وتطويرها وفق مواصفات عالية الجودة ، شملت البنية الأساسية Infrastructure و المباني والمساكن لمساندة مشاريع الجبيل الصناعية العملاقة تحت اشراف الهيئة الملكية للجبيل وينبع . "فقد تم تأسيس الهيئة الملكية للجبيل وينبع بمرسوم ملكي عام ١٣٩٥ هـ ولقد أنيطت بالهيئة الملكية مسؤولية تخطيط وإقامة التجهيزات الأساسية بمدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين وتشغيل مرافق الخدمات البلدية بالمدينتين.....و(لهذا) صممت (مدينة الجبيل الصناعية) لتوفير الحياة المدنية المريحة للمقيمين ، و من أهم الملامح الجذابة في المدينة ، المساكن والمرافق العامة التي صممت وفق أحدث الأساليب المعمارية"^[٣] "ومنذ بداية العمل في مشروع الجبيل كانت المهمة الأساسية للهيئة الملكية هي تنسيق أعمال تخطيط وتطوير التجهيزات الأساسية للمناطق الصناعية والسكنية بالمدينة "^[٤] ولهذا هناك خطط موضوعة تشرف عليها الهيئة لإنشاء أحياء سكنية رئيسية دائمة في المدينة ^[٥] وأنت هذه الجهود التخطيطية والتصميمية ثمارها ،فأنتجت مدينة ذات جودة عالية فنيا وذات نسب جمالية تعكس ذوقاً رفيعاً وتصميماً خلاقاً جعلنا نأخذها كمثال أكثر قرباً لمدن المستقبل المقترحة.ولهذا كانت محل اهتمامنا.

إن الأحياء السكنية في مدينة الجبيل الصناعية تتميز بخصائص معمارية ، تضمنت على متطلبات وعناصر تخطيطية وتصميمية فلما تجد لها مثل في الكيفية والكثافة ، في مدينة أخرى من مدن المنطقة أو غيرها مما يصنع منها تحفة معمارية نادرة .

وهذه الخصائص أو العوامل إعتبرتها علامات إبداع لإسباب :

- ١- لأنها كونت طابع المدينة حتى عرفت به في حين لم يظهر هذا في مدينة أخرى وإن تواجدت هذه الخصائص أحياناً في تلك المدن .
- ٢- إضافة إلى ذلك وكما أشرنا أن هذه الخصائص تتضمن معايير فنية تخطيطية وتصميمية أو بصيغة أخرى تحمل جودة تصميمية.
- ٣- أن هذه الجودة التصميمية جودة عالية المستوى تتناسب - الى حد ما - وخلفيات المنطقة الاجتماعية والبيئية.

وساهم في ظهور هذه الأسباب دوافع أهمها :

- ١- الإهتمام الكبير الذي حظيت به هذه الأحياء من ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية وفقهم الله وبارك في جهودهم ، نتيجة لتهيئتهم كل الموارد المطلوبة لإنجاز المشروع الكبير الصناعي في الجبيل وينبع ، ومنه هذه الأحياء، وتذليلهم كل الصعاب لإخراج هذه المدينة بهذا المستوى المعماري .
- ٢- العناية والمتابعة الفائقة من المسؤولين بالهيئة الملكية للجبيل وينبع-الإدارة العامة لمشروع الجبيل،
- ٣- الجهود الكبيرة للكوادر الوطنية المتخصصة فيها.
- ٤- وإضافة إلى ذلك كون المدينة بدأت من الصفر أو البداية مما سهل ظهور هذه الأسباب.

² http://www.rcjubail.gov.sa/Arabic_Home/arabic_home.asp

³ جبيل مدينة الصناعات" نشرة عن الهيئة الملكية للجبيل وينبع ،الإدارة العامة لمشروع الجبيل

⁴ "التقرير ربع السنوي للتنمية الإقتصادية"العدد ٥ ، ١٤٠٧ هـ

⁵ "الجبيل الصناعية مدينة الإستثمار التجاري" نشرة عن الهيئة الملكية للجبيل وينبع ،الإدارة العامة لمشروع الجبيل

الغاية من الدراسة

الغاية من هذه الدراسة عرض العوامل التي ساهمت في إبداع هذه المدينة أو هذا الإنجاز المعماري للاستفادة منها في صنع مبادئ لمدن المستقبل وخاصة أننا على وشك تضاعف البيئة العمرانية في عقدين أو ثلاثة .وهي قراءة نقدية للمدينة ولهذا تعقب في بعض العوامل على بعض مواطن التحسين أو إمكانات تحسين الأداء للبيئة المشيدة . كما أن الغاية من الدراسة عرض الإنجازات المعمارية الهامة للبلاد وعرض نتائجها النافعة ، لتلافي ما مضى من مشاريع أخرى خلال فترة الطفرة الإقتصادية في القرن الماضي الأمر الذي أخرج مجتمعات وأحياء سكنية في مدن مختلفة ، تصطدم ومعايير التصميم المناسبة ،مما حمل المجتمع والبلاد نتيجتها أعباء إجتماعية وبيئية وإقتصادية . والغاية أيضاً توضيح بما أن هذه المشاريع لها نتائج جيدة و أثر كبير على المجتمع والبلاد فالعرض وفاء للبلاد وولادة الأمر حفظهم الله ،وصناع القرار لمثل هذه المشاريع .

أما أهميتها

أما أهميتها فأولها ، الإهتمام بالعناصر التصميمية والتخطيطية التي أخرجت مثل هذه الإنجازات المعمارية ،سواء على المستوى التصميمي أوالتنفيذي أوالأكاديمي أو حتى الفردي. وإضافة إلى ذلك توجيه نظر الباحثين والدارسين إلى المخزون الكبير من الدروس الجيدة في المشاريع الحديثة للاستفادة منها في مشاريع حديثة أو تحسين أخرى.

أهم عوامل الإبداع في أحياء الجبيل الصناعية السكنية

هذه العوامل تشكل عوامل التميز والإبداع في مدينة الجبيل الصناعية واقتصرت عليها لأنها تشكل مظاهر هذه المدينة وفي نفس الوقت أهم ما تفتقر اليه المدينة الحديثة – في الغالب - في وقتنا الحاضر وبالتالي تحتاج الى تبني مثل هذه العوامل لترتقي الى معالم التشكيل المعماري المناسب للمدينة السعودية وظيفياً وجمالياً. إن أهم هذه العوامل التي سنفصلها لاحقاً في حلقات ، ما يلي:

- ١- كثافة الظل
- ٢- انتشار وتنسيق التخضير والتشجير
- ٣- توظيف التراث المعماري
- ٤- استثمار عناصر الطاقة الطبيعية
- ٥- التقييس



نشرت هذه المقالة تحت عنوان "الفناتير محاولة للإبداع المعماري" -مع بعض التعديل - في
نشرة العمران ، العدد ١٨ : ربيع ثاني ١٤١٩